

ملخص

تحاول هذه الدراسة ان تبحث سياسة امريكا الخارجية في الشرق الاوسط، و بالاحص في فلسطين. يتمحور البحث حول ثلاثة محاور اساسية لفهم العلاقة الحميمة بين اسرائيل و امريكا، و لفهم اسباب دعم امريكا المطلق لاسرائيل.

يدور المحور الاول حول موضوع اللوبي الصهيوني، و الذي يرتكز حول النقاش المقدم من قبل جون ميرشيمر و ستيفن والت، و الذين قاموا بالبحث في هذا المجال لسببين رئيسيين: الاول هو التطور و التقدم الملحوظ في تأثير اللوبي، و التغيير في العلاقات الخارجية الامريكية الى دعم مطلق لاسرائيل. في الخمسينات و الستينات، عندما ابتدأت السياسة الخارجية الامريكية الامبريالية بالتكون، كان هناك جهات نظر مختلفة بخصوص موضوع الشرق الاوسط، وجد بعض المجموعات كالمستعربين على سبيل المثال، الذين ملئوا صفوف الادارة الامريكية و الذين تعاطفوا مع الدول التي عملوا بها و الذين كانوا معادين للصهيونية. التحول الجذري في هذه الآراء، بالإضافة الى توطيد السلطة و التي اصبحت مرتكزة على موضوع واحد هو احدى اسباب انجذاب ميرشيمر و والت الى هذا الموضوع: التغيير الجذري من حالة تعدد الآراء و وجود اكثر من مركز موحد للسلطة الى وجود احتكار في صنع السياسات تجاه اسرائيل من قبل اللوبي الصهيوني. هذه الحالة قد وصلت الى حد بحيث لم يعد هناك اي جدال ونقاش حول الطرف الذي يجب أن يتلقى الدعم الامريكي – حتى فيما يتعلق بالمستعربين فقد اختلفوا من صفوف السياسة والبيروقراطية الى حد ان البعض قد كتب عنهم كبقايا تاريخية. العنصر الثاني يتعلق ب العلاقات الدولية ونظرياتها: نتيجة للتأثير الملحوظ للوبي، تتصرف امريكا، من وجهة النظر الواقعية، ضد مصالحها و قيمها في الشرق الاوسط. وقد وجد ميرشمر و والت غرابة في هذا التصرف غير المنطقي: لماذا تعمل اي دولة بشكل معاكس لمصالحها؟ و هذا هو الاطار النظري الذي حاول من خلاله كل من ميرشيمر و والت ان يتناولوا هذه القضية: بإمكان اي دولة ان تتصرف ضد مصالحها ان وجدت مجموعات مصالح خاصة – و غالباً تكون مجموعات عرقية-دينية-اثنية تملك سلطة على نحو غير متناسب مع حجمها، و خاصة في ملفات محددة تهتم هذه المجموعات وبامكانها أن تمارس ضمنها تأثيراً محسوساً، بل وان تحدد اتجاه السياسات المعتمدة.

بالنسبة للبعض الآخر، يتمحور هذا الموضوع حول النفط و المصالح، و من هنا نصل الى المحور الثاني: الفكرة الماركسية عن الهيمنة الامبريالية. بالنسبة لنعوم تشومسكي مثلاً، تتمحور الاشكالية الرئيسية حول كيفية تحول اسرائيل الى صورة مصغرة عن بنية اكبر: هناك السياسة الامريكية الامبريالية و التوسعية على الصعيد العالمي و التي تنعكس اقليمياً من قبل اسرائيل. هناك دينامية بين امريكا و اسرائيل و هي التي يحاول شومسكي ان يفهمها ويدرسها، و هي تحاجج بان هناك تشابه بين هؤلاء العنصرين و الذين غالباً ما يعملون سوية. وان هذه الحال هي نتيجة لطبيعة منطوق القوة، عندما تتصرف اسرائيل بطريقة توسعية في الشرق الاوسط، مفضلة ذلك على التعايش مع العرب (و هذا قرار تبنته منذ زمن طويل)، تجد اسرائيل نفسها منفصلة عن محيطها العربي و اكثر ارتباطاً بالقوة الامريكية كملجأ و كمصدر للمساعدات و تصبح اسرائيل، فعلياً، ممثلاً لها في المنطقة.

ما استنتجناه من هذا البحث هو ان أياً من المحورين المقدمين اعلاه لا يوضحان مدى العلاقة بين امريكا و اسرائيل، و لا يوضحا أيضاً تأثير هذه العلاقة على الشعوب. و من هنا نصل الى المحور الثالث و الذي يتمركز حول المعرفة من منطلق علم الاجتماع، و التي تركز على اكاديميين مثل اوري افيري و غيرهم، و الذين يحاولوا ان يفهموا كيفية التعامل مع الصراع العربي/الاسرائيلي في الدوائر الاكاديمية. و لأنهم يجيئون من خلفية الدراسات الثقافية و اللغوية، فهم يحاولون فهم كيفية امتصاص الثقافة لهذه القضايا، و من ثم نشرها. بالنسبة للبعض، يتمحور هذا الموضوع حول كيفية انتاج المعرفة في ميادين الشرق الاوسط و فلسطين و اسرائيل في امريكا، فهنا بإمكاننا ان نلاحظ كيف تعمل القوة على خلق مفهوم للمصالح الامريكية، على سبيل المثال، يستوعب و يتمثل مع المصالح الاسرائيلية. يحاول هذا المحور فهم كيفية استخدام القوة في انتاج المعرفة التي تخفي التاريخ الفلسطيني و تاريخ الضحايا الآخرين، و يتم ذلك بطريقة مماثلة لحالة الاستعمار الوروبي لاميركا الشمالية، حيث نشأت ثقافة استيطانية كاملة تقدم الاستعمار الاستيطاني كمسعى "حضاري" نبيل. في هذا المحور، يتساءل البعض كيف يتم خلق الثقافة من خلال انتاج المعرفة و كيف تسعى القوة لتؤثر في عملية خلق هذه المعرفة و التي بالنهاية تخلق تقاربات و تخلق "الأخر" و تخلق مجموعات تتعاطف مع امريكا و اسرائيل، و من الناحية الأخرى، يتم ترسيم وتحديد "الأخر"، الذي يتم تصنيفه كبربري أو معاد للحضارة والحدثة، مثلما هي الحال مع الفلسطينيين.

لقد تم استخدام مختلف نظريات العلاقات الدولية من اجل تفسير كيفية تشكيل السياسات الدولية. عندما نبحت في التأثير الأمريكي في الشرق الاوسط، نجد ان معظم المعرفة المتواجده في هذا المجال هي سياقية و نفعية: مثلاً، تكون قد وضعت من منطلق القوة (كيف من الممكن ان نخدم مصالح الدولة في افضل طريقة، على سبيل المثال); اما بالنسبة للنظريات المعارضة (مثل نظرية شومسكي) فبالعادة نجد انهم يعبروا عن ثقافة نقدية و مناهضة للامبريالية تمثل معارضة موجودة داخل المجتمع الغربي ذاته وتعيش في سياقه السياسي.

لكننا اذا قمنا بالبحث في هذه السياسات في سياقها الاجتماعي و المحلي (في الشرق الاوسط على سبيل المثال) و اذا نظرنا الى كيفية تأثير السياسات الامريكية في توليد حقائق جديدة و تأثيرها على حياة الشعوب و توليد مقاومة و نتائج غير متوقعة، فنجد انفسنا امام نظرة جديدة تتحدى الكثير من افتراضات نظريات العلاقات الدولية، حيث يتم النظر الى ردود الفعل المحلية و المقاومة كعوامل خارجية للنظرية الرئيسية.

بما اننا لا نتواجد بالمجتمع الامريكي، و بما اننا ليس جزءا من الهيكل الاكاديمي الذي يناقش و يرشد مصالح الحكومة الامريكية، و بما اننا لا نمثل المعارضة للهيمنة الداخلية في المشهد الامريكي السياسي، فنجد انفسنا مواجهين بتحدٍ كبير: كيف نحدد الفعل (Agency) ضمن هذه العمليات المعقدة و العابرة للبلدان؟ من وجهة نظر المجتمع الفلسطيني، فانه لا هام ان نتجت هذه السياسات من هيمنة امبريالية او بسبب خطف السياسات الامريكية في الشرق الاوسط من قبل اللوبي الاسرائيلي، ما يهم الشعب الفلسطيني هو تأثير هذه السياسات على واقعهم و حياتهم اليومية و آمالهم و مستقبلهم.

يتمحور هذا البحث حول التعقيدات التي تكتنف العلاقات الاميركية-الاسرائيلية، وهي دليلٌ اخر على أنه لا يجب للولايات المتحدة أن تكون طرفاً في النزاع –العربي الاسرائيلي بأي شكل من الأشكال. أما في فلسطين، فمن الأساسي أن نعيد توطين الفعل (Agency) في المجتمع المحلي. على الفلسطينيين أن يتطلعوا صوب حلفاء طبيعيين يتشاركون معهم في التجربة والمعاناة والمصالح. من المهم أن ننظر الى تجارب الشعوب الأخرى التي عانت أيضاً من الاحتلال ومن الهيمنة الامبريالية: المكسيكيون، الاميركيون الاصليون، الجنوب افريقيين، الهايتيين، وشعوب أخرى كثيرة يمكنها أن تقدم للفلسطينيين دروساً ليتعلموا منها ويفهموا كيف يتم تحريك الشعوب، حتى تصير قوة الشعب فوق منطق القوة.